سورة الفلق

للشيخ عبد العزيز العلي

بسم الله الرحمن الرحيم

« قل أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق . ومن شر غاسق اذا وقب . ومن شر النفاثات في العقد . ومن شر حاسد اذا حسد » .

تقدم في بيان أول سورة من كتاب الله وآخر سورة عن الاستعاذة « برب الناس ، من شر الوسواس الخناس ، الذي يوسوس في صدور الناس ، من الجنة والناس » .

والخناس في اللغة هو المقصر المتصاغر ، وهذه هي الوسوسة المنبعثة عن ارواح خبيثة من الجنة والناس ، فانها تترقب غفلة المؤمن ، وفسحه له المجال ، فتحتل الفارغ من الايمان ، متغلغلة في صميم صدره ما أمكنها ذلك ، ولكنها سرعان ما تنكمش وتتلاشى ظلماتها عندما ينبلج عليها نور من خلق صحيح الايمان ، ويرجمها المؤمن بمصابيح من ذكر الرحمن ، اذ ليس لها سبيل على عباد الله المخلصين ، ما لم يعشو عن ذكر الرجمن .

« ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين » . والعشو هو من آخر النهار الى الربع الاول من الليل ، وهذا الوقت هو وقت يقظة الوساوس عند الغافلين ، وقد قيل : (الليل اخفى للويل) ومحل الوسوسة صدور الناس ، وفي الاثر عن ابي عباس انه جاء رجل الى النبي ﷺ فقال : يارسول ، اني احدث نفسي بالشيء لأن أخر من السماء احب اليّ من ان اتكلم به . فقال النبي ﷺ « الله اكبر ، الله اكبر الحمد لله الذي رد كيده الى الوسوسة » وقد لاينجو من قليل الوسوسة احد من الناس الا ما شاء الله ، ورد في الوسوسة التي تكون نتيجتها الرجوع الى الله انها محض الايمان وفي الحديث الشريف « غفر لأمتي ما حدثت به انفسها ما لم يتكلموا او يعملوا به » ، لأن الانسان مع انه منطو على فطرة سليمة وسجية مستقيمة فانه يحمل نفساً حيوانية امارة وهو من حياته في بحر خضم من الظلمات يعلوها النور العظيم ، ومن بين يديه ومن خلفه

تيارات قوية من الخير والشر، وان وجهة الخير والنور هي وجهة الله وملائكته وصراطه المستقيم وعباده الذين انعم الله عليهم ، « هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور » « الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور » والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات » ، وتجري في الانسان كل قوة من قوى الخير والشر فتجد فيه قابلية واستعداداً والله « يهدي اليه من اناب » « ان الله لا يهدي من هو مسرف مرتاب » .

والظاهر من الاستعاذة برب الفلق الاستجارة برب فلق النور من شر الظلمات والطواغيت كما ان الظاهر من تكرار الاستعاذة « من شر غاسق اذا وقب ، ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد » ان هؤلاء الثلاثة قد تعدت الوسوسة صدورهم (بعد ان تراكمت فيها الظلمات ومسختهم) الى شياطين من الانس لا تخنس عند الذكر « والذين اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون . واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون » .

ولقد كان اول الثلاثة المتكررة الاستعاذة من شرهم على حسب درجاتهم في الشر وارتباطهم بالوسوسة . « غاسق إذا وقب » والغاسق اسم فاعل مشتق من الغسق وهو ظلمة الليل ، كالحاسد وزناً ومعنى ، اذ هو مشتق من الحسد الذي هو ظلمة الصدر ، والفسوق هو اول تنفيذ فعلي لايحاءات الوساوس الصدرية ، لأنها اول شيء تحدثه في الغافل المستلقي على فراشه أرقاً شديداً ربما اضطره إلى هجران بيته غاسقاً في الظلمات ، وربما جره ذلك إلى الوقب وهو الشر كله ومن معاني الوقب في اللغة : الدناءة والحماقة والولوج والنقر والفوران للعين والماء والعفونة لشماريخ النخلة ، وانتشار الظلمة ، ومن سرق اثاث الناس فقد اعتدي على اوقايهم ، وربما كان ذلك نتيجة الجوع الذي هو من معاني الوقب ايضاً ، والرجل الميقاب الكثير للخمر ، والسير الميقاب السير المتواصل الذي لا راحة فيه ليلاً .

رحماك اللهم وحماك من شر غاسق إذا وقب ؛ والغسوق ليلاً غير السري فيه ، لأن الغاسق هو الرجل السائر بمفرده وقت الغسق نتيجة للأرق ، اما السري فهو السير جماعة ولأمر مشروع ، وقد ورد في الحديث الشريف (الراكب شيطان ، والراكبان شيطانان

والثلاثة ركب ، وخير الصحابة اربعة) وقال تعالى « فأسر بأهلك بقطع من الليل » « فأسر بعبادي ليلا » كما علق الباري تقدست اسماؤه القسم في الليل بالسري والسكون والستر والتعاس وغشية البيت والأهل بقوله تبارك وتعالى : « والليل إذا يسر » ، « والليل إذا يغشى » ، « والليل إذا سجى » ، وفي الحديث الشريف (عند الصباح يحمد القوم السري) ، على ان الليل والنهار آيتان من آيات الله ، وقد ورد في فضل الراحة التي من اجلها كانت نعمة الليل (الطاهر النائم كالصائم القائم) ، (ومن صلى العشاء والفجر في جماعة كان له قيام ليلة) .

اما العاقل المفكر الذي يستفيد من قيام الليل فعليه الا تفوته فرصة العبادة الخالصة والتفكير العلمي في جوف الليالي الطوال ، « أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ » وروي ان أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها سئلت عن ايها افضل : النائم ليلا ام القائم ، وانها قالت سألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال : (احسنها عقلا) « الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ، إن الله لذو فضل على الناس ، ولكن اكثر الناس لايشكرون » « فالق الاصباح وجعل الليل سكنا » .

ولقد جاء بعد الاستعاذة من شر غاسق إذا وقب الاستعاذة من شر النفاثات في العقد والنفاثات من نفاثة المصدور ونفث الهامه للسموم ، ونفث الشيطان للوساوس والشرور ، والنفاثات في العقد اشد ثراً من الغاسق الميقاب ، على ان الوسوسة مصدرهما جميعاً ، الا انهما يختلفان في كيفية تنفيذ ايحاءاتها ، إذ أن المرأة تقاليد طبيعية تختلف عن الرجل ، فاذا اضطرب الرجل وارق ترك مضجعه ونفر من مسكنه وقت الغسق ، ولا سيما في عصرنا الحاضر ، لكثرة الولائج للغاسق الميقاب ، اما المرأة فان تكن شاقة شريرة مستسلمة للوساوس والأهواء فتراها مرتقبة في بيتها طلب الغاسق الميقاب بأحد ولائج السوء القوادين وان كانت عجوزا مقعدة لكبر سنها استولت عليها الظلمات واستهوتها الشياطين ، وعقدتها الوساوس والشرور عقيدة اللؤم والقلب المظلم فتجمع المال من مهنتها الخبيثة الشريرة ، من نفث جحيم صدرها الجهنمي ، ونفث عللها الخبيثة وسمومها المهلكة وشياطينها المظلمة تنفثها في عقد الشر فتزيدها تعقيداً وشراً ، وفي عقد الخير فتفك من عراها ما استطاعت

إلى ذلك سبيلا ، تنفثها سحراً يحل عقد المحبة والالفة ، ويفرق بين المرء وزوجه ، وهذا هو النوع الثاني من تنفيذ ايحاءات الوساوس خارج الصدر عن طريق النفث في العقد لا شر أنواع النساء تنفيذاً إذ هن نفثات معقدات بكل ما في هاتين الكلمتين من معان شريرة والعياذ بالله .

والنوع الثالث من الاستعاذات المتكررة يتناول اشد الظلمات وأعمها شراً ذلك شر « حاسد إذا حسد » ، والحسد طبيعة غريزية في الانسان غير ان الايمان بالله يغطيه ويهذبه وتبعثه الوساوس ، وإن أنواعه كثيرة معروفة وجميعها تنبعث من الصدر المظلم الخالي من الايمان ، والعياذ بالله من حاسد إذا رام الوقيعة بمحسوده بطرق أشد من النفث في العقد ، ومن ذلك ما هو شبيه بنفث النفاثة من فيها نظرة الحاسد لمحسوده بشهب نارية منبعثة بواسطة العين من صدر مظلم لحاسد ظالم لا لثمن يتقاضاه كالنفاثات في العقد ، ولا لنفع آخر يعود عليه ، وإنما لمجرد الحسد المضني الضار بالحاسد قبل المحسود ، والعين حق ، والاحاديث الواردة فيها كثيرة ، وفي وصية يعقوب عليه السلام لبنيه في سورة يوسف بيان عنها ، ومما ورد في الاستعاذة ما تشمل الثلاثة المستعاذ من شرهم بالسورة الكريمة « أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ، وكل عين لامة » .

وإن للفلق معاني غير ما تقدم ، ومنها الخلق كله ، لأن المولى جلت قدرته فالق الحب والنوى ، فالق الاصباح ، فالق الذرة والحجيرة ونواتيها ، فالق السموات والارض ونعوذ بالله من انفلاق الذرة وانفلاق الارض والسماء ، حيث بانفطار الاولى القيامة الصغرى ، وبانفطار الثانية القيامة الكبرى ؛ ومن معاني الفلق أيضاً مستقر الاشرار الاخير كما ورد (جب في جهنم) ، وإذا كانت الاستعاذة برب الناس من شر الوسواس فانها هنا اعم إذ انها برب الفلق كله ، من شر الفلق كله .

وان الاستعاذة والاستجارة حمى يلجأ اليه المؤمن إلى كنف ربه ملك كل شيء ، فهو وحده يحميه من الاسواء جميعا . « قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون » وفي الاثر عن خالد ابن الوليد ان الارق اصابه يوماً فقال لرسول الله ﷺ (الا اعلمك كلمات إذا قلتهن نمت : قل اللهم رب السموات السبع وما اظلت ، ورب الارضين وما اقلت ، ورب الشياطين وما اضلت ، كن لي جاراً من شر خلقك اجمعين ان يفرط علي احد منهم او ان يطغى ، عز جارك ، وتبارك اسمك) فاللهم عياذاً بك من خافك وعوناً على برك وانت ارحم الراحمين والحمد لله رب العالمين .

الكويت : — ٧٢٧ — عبد العزيز العلي